خطبة صلاة الجمعة 17/ 8/ 2018 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(أفضل أيام الدنيا)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (198) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 198، 199]

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: 1 – 3]

عنوان خطبة اليوم: **أفضل أيام الدنيا**

أيها الإخوة:

ننتظر في بحر الأسبوع القادم يومَ عرفة ويومَ النحر، وقد حكى العلماء مسألة أفضل أيام الدنيا ما هو، فمنهم من قال إنه يوم الجمعة ومنهم من قال إنه يوم عرفة ومنهم من قال إنه يوم النحر، فنحن ننتظر إذن يومين قيل إنهما أفضل أيام الدنيا.

روى ابن حبان في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**ما من يومٍ أفضلُ عند الله من يوم عرفة، ينزل اللهُ إلى السَّماء الدُّنيا فيُباهي بأهل الأرضِ أهلَ السَّماءِ، فيقول: انظروا إلى عبادي؛ شُعْثاً غُبْرَاً ضاحين؛ جاؤوا من كلِّ فجٍّ عميقٍ، يرجون رحمتي، ولم يرَوا عذابي، فلم يُرَ يومٌ أكثرَ عتقاً من النَّار من يوم عرفة**»

وروى الإمام مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**صيامُ يوم عرفة؛ أحتسب على الله أن يُكفِّر السَّنةَ التي قبله، والسَّنة التي بعده**».

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم النَّاس يوم عرفة، خطبة جامعة ضمت أربعَ فقراتٍ وخاتمةً فقال:

«**– إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا.**

– أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ:

– وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ "ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ" كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ، فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ.

– وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا "عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ" فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ.

– فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ.

– وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ؛ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟»، قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ **–بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ–: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ –ثَلَاثَ مَرَّاتٍ–»**. [الترمذي]

ففي خطبته الشريفة أربعُ فقراتٍ مهمَّة جداً، وخاتمةٌ مؤثرةٌ...

أما الفِقْرة الأولى: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**»:

فالإقبال على الله والتمسك بدينه يقتضي ترك الحرام في الدماء والأموال والأعراض. وإن كان لأحد عندك حق فلتعده أو لتستسمحه.

وأما الفِقْرة الثَّانية: «**أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ**»:

فالإقبال على الله والتمسك بدينه يقتضي التبرُّؤ من الجاهلية: من أفكارِها ومبادئِها وعاداتِها ومظاهرِها.

ثارات الجاهلية، رِبَا الجاهلية، تبرج الجاهلية، إطلاق البصر إلى المحرمات فعل الجاهلية، والجاهلية برمَّتها -فكراً، وسلوكاً، واعتقاداً...- مرميَّةٌ تحت قدمَي المسلم.

وأما الفِقْرة الثَّالثة: «فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ...»:

فالإقبال على الله والتمسك بدينه يقتضي منا الإحسان إلى المرأة أُمًّا وأختاً وبنتاً وزوجةً.

وأما الفِقْرة الرَّابعة الأخيرة: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ؛ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ...»:

فالقرآن الكريم والسُّنة الشَّريفة، سفينةُ نجاتنا في الدُّنيا والآخرة، ونحن قومٌ أعزَّنا الله بهما، ومهما أردنا العزَّة بغيرهما فَارَقتْنَا العِزَّة وحالفنا الهوان.

إذن هي أربعة: ترك الحرام، ورمي للجاهلية، ووصية بالنساء خيراً، وتمسك بالكتاب والسنة؛ وهي خلاصة خطبة الوداع يوم عرفة، والله أعلم.

فتعالوا نتمسك بهذه الأربعة لنسعد في الدنيا والآخرة، تعالوا نغنم يوم عرفة بالصيام والدعاء والاستغفار والتوبة.

أما يوم النحر فهو يوم الحج الأكبر؛ لأن فيه تمامَ الحج ومعظمَ أفعاله من الوقوف بالمزدلفة ورمي الجمار وذبح الهدي والأضاحي وطواف الإفاضة وحلق الشعر.

وقد روى أبو داود عن عبد الله بن قُرْط رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إن أعظم الأيام عند الله يوم النحر، ثم يوم القَر». ويوم القر هو الغد من يوم النحر؛ لأن الناس يقرون فيه بمنى، أي يسكنون ويقيمون.

وينفع أن أعرض عليكم مجموعة أسئلة مع أجوبتها في أحكام الأضحية أحسن ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى في يوم النحر، والأضحية شرعاً هي ما يُذبح من النعم تقرُّبًا إلى اللهِ تعالى في أيّامِ النّحرِ بِشرائِط مخصُوصةٍ.

أخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «ما عَمِلَ ابن آدمَ مِنْ عملٍ يومَ النحرِ أحبَّ إلى الله مِن هِراقةِ الدمِ، وإنه لتأتي يومَ القيامةِ بقُرونها وأَشعارِها وأَظلافِها، وإن الدمَ ليقعُ من الله بمكانٍ قبلَ أن يقعَ بالأرضِ، فَطِيبُوا بها أَنفُساً».

1- ما دليل مشرُوعِيّةُ الأضحِيّةِ:

الجواب: الأضحِيّةُ مشرُوعةٌ بِالكِتابِ والسُّنّةِ والإجماع: أمّا الكِتابُ فقولُهُ تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: 2] قِيل في تفسِيرِهِ: صلِّ صلاة العيدِ وانحَرِ البُدن.

وأمّا السُّنّةُ فأحاديث كثيرة منها حدِيثِ أنسِ بنِ مالِكٍ رضِي اللّهُ عنهُ أنّهُ قال: ضحّى النّبِيُّ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم بِكبشينِ أملحينِ أقرنينِ، ذبحهُما بيدِهِ، وسمّى وكبّر، ووضع رِجلهُ على صِفاحِهِما. [مسلم]

2- ما حكم الأضحية:

الجواب: ذهب جُمهُورُ الفُقهاءِ إلى أنّ الأضحِيّة سُنّةٌ مُؤكّدةٌ لأدلة؛ منها قولُهُ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ: «إذا دخلَ العشرُ، وأرادَ أحدُكُم أن يُضحّي فلا يَمسَّ من شعرِهِ ولا من بشرِهِ شيئًا» [مسلم].

ووجهُ الدّلالةِ في هذا الحدِيثِ أنّ الرّسُول صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم قال: «وأراد أحدُكُم» فجعلهُ مفوّضًا إلى إرادتِهِ، ولو كانتِ التّضحيةُ واجبةً لاقتصر على قولِهِ: «فلا يمسّ من شعرِهِ شيئًا حتّى يُضحّي».

وذهب أبُو حنِيفة ومالكٌ في أحد قوليه إلى أنّها واجبةٌ... واستدلُّوا على ذلِك بِقولِهِ تعالى: ﴿فَصَل لِرَبِّكَ وانحَرْ﴾ ومُطلقُ الأمرِ لِلوُجُوبِ، ومتى وجبَ على النّبِي صلى اللّهُ عليهِ وسلّم وجب على الأمّةِ لِأنهُ قُدوتُها.

وبِقول النّبِيّ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم: «مَن كان لهُ سعةٌ ولم يُضحّ فلا يقربنَّ مُصلاّنا» [ابن ماجه والحاكم ووافقه الذهبي] وهذا كالوعيدِ على تركِ التّضحيةِ، والوعِيدُ إنّما يكونُ على تركِ الواجبِ.

3- هل تكفي أضحية واحدة عن أهل البيت كلهم؟

الجواب: أوجب الحنفيةُ الأضحية وجوبا عينياً على كل من وُجِدت فيهِ شرائِطُ الوجوبِ. فالأضحيّةُ الواحدةُ عندهم تُجزِئُ عن شخصٍ واحِدٍ. ولا تجزئ عن أهل البيت كلهم.

بينما قال الشّافِعِيّةِ والحنابِلةِ: إنّ الشّخص يُضحّي بِالأضحِيّةِ الواحدةِ عن نفسهِ وأهل بيتِهِ. فهي عندهم سُنّة كِفاية في حقّ أهل البيتِ الواحِدِ. ونحوه قول المالكية.

4- هل نضحي عنِ الميّتِ:

الجواب: إذا أوصى الميّتُ بِالتّضحِيةِ عنهُ، جازت التضحية عنه بِالاِتّفاقِ.

أمّا إذا لم يُوصِ بِها وأراد أحد أن يُضحّي عنهُ من مال نفسِهِ، فذهب الحنفيةُ والمالِكِيّةُ والحنابِلةُ إلى جوازِ التّضحِيةِ عنهُ، وقد صحّ أنّ رسُول اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ضحّى بِكبشينِ أحدُهُما عن نفسِهِ، والآخرُ عمّن لم يُضحّ من أُمّتِهِ. وذهب الشّافِعِيّةُ إلى أنّ الذّبح عنِ الميّتِ لا يجُوزُ بِغيرِ وصِيّةٍ أو وقفٍ.

5- هل يقُومُ غيرُ الأضحِيّةِ من الصّدقاتِ مقامها؟

لا يقومُ غيرُ الأضحِيّةِ من الصّدقاتِ مقامها؛ لأنها شعيرة من شعائر الله، والأصل أنّ الوُجوب إذا تعلّق بِفعلٍ مُعيّنٍ لا يقومُ غيرُهُ مقامهُ كالصّلاةِ والصّومِ.

6- هل يجوز ذبح ذبيحة واحدة بنية الأضحية والعقيقة؟

الجواب: لا يجوز ذلك عند الشافعية والمالكية وإحدى روايات أحمد؛ لأن كل واحد من الفعلين مقصود بذاته، خلافا للحنفية الذين أجازوا ذلك وعللوا قولهم بأن المقصود التقرب إلى الله تعالى بإراقة الدم فتدخل إحدى الطاعتين في الأخرى. فليأخذ الموسر بالقول الأول ويأخذ من قدر عليه رزقه بالثاني، والله أعلم.

أيها الإخوة:

هذا حديثي لكم عن أفضل أيام الدنيا يوم عرفة ويوم النحر فتعالوا نغنم ما بقي من أيام العشر في الطاعات وإيصال النفع إلى الخلق تقرباً للخالق عسى أن يشملنا الله تعالى بما يشمل به حجاج بيته الحرام من النفحات.

والحمد لله رب العالمين